ذكرى المباهلة والتصدق بالخاتم

هذه الآية المباركة تسمى بآية المباهلة، وقد نزلت بمناسبة يوم المباهلة، وهو يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة السنة الرابعة من الهجرة. وهي من أبرز الأدلة على أفضلية وعصمة الإمام علي (ع). وهو يوم من أيام الله عز وجل، وقد وردت فيه بعض المستحبات المؤكدة الدالة على عظمته. ففيه غسل مستحب وصلاة وصيام ودعاء، ولعل البعض لا يلتفت إلى بعض الأيام التي خصصت فيها عبادات خاصة. ومن الايات هذه الآية تدل على عصمة وأفضلية أمير المؤمنين (ع) وعظيم منزلته. فمما أُجمع عليه في نزولها أن نصارى نجران أتوا النبي (ص) بعد أن أرسل إليهم يدعوهم للإسلام، فجاء وفدٌ من كبارهم، وتحدث مع النبي (ص). فقالوا للنبي (ص): ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال: هو عبد الله وكلمته. فلم يرتضوا جوابه. ثم إنهم دعوا للمباهلة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا ختلفوا فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. فرضي بذلك رسول الله (ص)، فجاؤوا في اليوم التالي وقد استعدّوا للمباهلة ووقفوا ينتظرون مجيء النبي (ص). فلما حانت ساعة المباهلة في المكان الموعود والزمان المحدد، جاء رسول الله (ص) يصطحب معه علياً وفاطمة الزهراء والحسن والحسين، صلوات الله عليهم أجمعين. وكان جبريل قد نزل قبل ذلك بالآية المذكورة. فلما رأوا رسول الله (ص) بهذه الهيئة شعروا بالهيبة والرهبة، فمن يحضر للمباهلة ويحضر معه أقرب الناس إليه يعني أنه واثق تماماً من كونه على الحق. فقال بعضهم لبعض: إنا نرى وجوهاً لو أقسم بها محمد على الله أن يزيل جبلاً من مكانه لفعل. فلا تباهلوهم فتهلكوا فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ منكم إلى يوم القيامة. وبذلك تراجعوا عن المباهلة وطلبوا من النبي (ص) أن يبقى كلٌّ من الطرفين على دينه، فرفض ذلك إلا أن يسلموا، فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. فلم يقبلوا بذلك. فقال لهم النبي (ص): إذن أناجزكم. ثم إنهم بعد أخذ وردّ تصالحوا مع النبي (ص) بأن يدفعوا لرسول الله (ص) في كل سنة ألفي حلّة وثلاثين درعاً، ألفاً في شهر رجب وألفاً في شهر صفر، تضاف لبيت مال المسلمين. وهذه الآية المباركة فيها الكثير من المضامين العالية، وأول من استشهد بها هو علي بن أبي طالب (ع) عندما تنازعوا أمر الخلافة. فعلي (ع) بنص الآية الشريفة هو نفس رسول الله (ص) ما عدا النبوة وما خرج بدليل خاص. وهنالك موقف آخر استشهد فيه الإمام الرضا (ع) بهذه الآية إذ قال له المأمون: هل هنالك دليل واضح في القرآن على أفضلية علي؟ فقال الإمام (ع): مما أجمعت عليه الصحابة أن قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ نزلت في رسول الله وعلي، ولم يخرج رسول الله (ص) إلا بعلي من بين جميع الصحابة وهم كثر. ففي الآية تصريح واضح أن الإمام علي (ع) هو نفس رسول الله

(ع) مع فارق النبوة، فكل ما لرسول ا لعلي، إلا ما خرج بدليل. هذا ما يخص آية المباهلة ومناسبة نزول الآية. وهنالك مناسبة أخرى وهي تختص بالامام علي (ع) وهي في اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة، وهي آية التصدق بالخاتم. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. [المائدة: 55]. وسبب نزولها أن رهطاً من اليهود دخلوا الإسلام، فجاؤوا لرسول ا (ص) فقالوا له : يا رسول ا، إن موسى (ع) أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيك ووليّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية. فقال لهم: قوموا بنا إلى المسجد، فتوجهوا إلى هناك، وإذا بسائل خارج من المسجد، وكان علي (ع) يصلي فيه، ثم خرج وهو فرح مستبشر، فسأله رسول ا (ص): هل أعطاك أحدٌ شيئاً. فقال : نعم. قال : من؟ فأشار إلى علي (ع). وكان علي (ع) منشغلاً بالصلاة. فقال: كيف أعطاك؟ قال : أعطاني وهو في ركوعه. فكبّر رسول ا (ص) وكبر من كان معه، ومن كان في المسجد، وقرأ هذه الآية المباركة، وهي كذلك من الآيات المهمة في الاستدلال على ولايته صلوات ا وسلامه عليه. ثم قال (ص) : عليٌّ وليكم من بعدي. ثم نزل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾. [المائدة: 56]. هذا ما أردنا أن نذكره باختصار مما يتعلق بالمناسبتين المذكورتين، وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين. وصلى ا على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.